الدرس الثامن عشر: الركن الرابع من أركان الإسلام صوم رمضان

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع الصحابي الجليل أبي أمامة الباهلي في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ☺ قَالَ: أَنْشَأَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم غَزْوَةً فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ الله لِي بِالشَّهَادَةِ فَقَالَ:**"اللهمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ** ـقَالَ: فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم غَزْوًا ثَانِيًا فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ الله لِي بِالشَّهَادَةِ، فَقَالَ:**"اللهمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ** ـقَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ غَزْوًا ثَالِثًا، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَتَيْتُكَ مَرَّتَيْنِ قَبْلَ مَرَّتِي هَذِهِ، فَسَأَلْتُكَ أَنْ تَدْعُوَ الله لِي بِالشَّهَادَةِ فَدَعَوْتَ الله ♣ أَنْ يُسَلِّمَنَا وَيُغَنِّمَنَا، فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا يَا رَسُولَ الله، فَادْعُ الله لِي بِالشَّهَادَةِ فَقَالَ:**"اللهمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ** ـ قَالَ: فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مُرْنِي بِعَمَلٍ قَالَ:**"عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ** ـ قَالَ: فَمَا رُئِيَ أَبُو أُمَامَةَ وَلاَ امْرَأَتُهُ وَلاَ خَادِمُهُ إِلاَّ صُيَّامًا، قَالَ: فَكَانَ إِذَا رُئِيَ فِي دَارِهِمْ دُخَانٌ بِالنَّهَارِ قِيلَ: اعْتَرَاهُمْ ضَيْفٌ نَزَلَ بِهِمْ نَازِلٌ، قَالَ: فَلَبِثَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ الله، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَمَرْتَنَا بِالصِّيَامِ فَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ بَارَكَ الله لَنَا فِيهِ رَسُولَ الله، فَمُرْنِي بِعَمَلٍ آخَرَ قَالَ:**"اعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لله سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَ الله لَكَ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً** ـ[1].

أخي الحبيب، صيام شهر رمضان أحد أركان الإسلام، ولقد فرض الله ♣ صيام رمضان على أمة الإسلام في العام الثاني من الهجرة، فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة رمضانات، والصيام عبادة قديمة تَعبَّد الله بها من كان قبلنا من الأمم قال تعالى مخاطباً عباده المؤمنين،

(1) (إسناده صحيح) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات.

السامعين المستجيبين، المنقادين لشرع الله:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(183) أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (184)} [البقرة:183، 184].

المعنى: فلقد فرض الله عليكم الصيام كما فرضه على الأمم قبلكم؛ لعلكم تتقون ربكم، وفرض الله عليكم صيام أيام معلومة العدد وهي أيام شهر رمضان. فمن كان منكم مريضًا يشق عليه الصوم، أو مسافرًا فله أن يفطر، وعليه صيام عدد من أيام أُخَر بقدر التي أفطر فيها. وعلى الذين يتكلفون الصيام ويشقُّ عليهم مشقة غير محتملة كالشيخ الكبير، والمريض الذي لا يُرْجَى شفاؤه، فدية عن كل يوم يفطره، وهي طعام مسكين، فمن زاد في قدر الفدية تبرعًا منه فهو خير له، وصيامكم خير لكم مع تحمُّل المشقة من إعطاء الفدية، إن كنتم تعلمون الفضل العظيم للصوم عند الله تعالى.

ولكن لأمة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الشهر المزيد من الفضل والخصوصية فهو شهر كريم فيه فضائل كثيرة لم تتوفر لغيرنا من الأمم، يقول الله تعالى{يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [البقرة:105]، لما فيه من الثواب الجزيل، ومضاعفة الحسنات، وتكفيرَ للخطايا، ومحو للسيئات، والدعاء المستجاب والعمل المقبول بإذن الله، ويبين الله تعالى حكمته من فرض صيام رمضان على أمة الإسلام قوله:{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} أي أنكم تنالون بالصيام التقوى، ويتحقق لكم بصيامكم رمضان تقوى الله جل وعلا، وذلك بأن المسلم يتعبّد لله بترك الطعام والشراب، والنساء، وتلك من الأمور المحببة إليه، المغروس حبّها في نفسه، يتركها طاعة لله، وعبادةً يتقرب بها إلى الله، مع ميل النفس وحبها لها، فيحصل الخضوع والطاعة لرب العالمين.

إخوتي في الله، من رحمة الله تعالى أنه نَوَّعَ لنا العبادات، فقد شرع الله لنا عبادات متنوعة، وحكمته جل وعلا في تنوع العبادات: زيادة الإيمان، قال تعالى:{لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ} [الفتح:4]، ومضاعفة الأجور

وتقوية الرغبة في الخير.

والصائم يتعبد بالصيام لله فيما بينه وبين الله، يعلم أن الله يرضى منه ترك الشهوات، فيدعها طاعةً لربه، ويعلم أن الله مراقب عليه، وعالم بسره وعلانيته، قال تعالى:{**الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**} [الشعراء:218 - 220]، فيمتنع عن الإتيان بناقض من نواقض الصيام؛ لأنه على يقين من مراقبة الله له وعلمه بسره وعلانيته.

والنعم لا تعرف إلا بفقدها، فالصائم عندما يشتد به الظمأ، ويؤلمه الجوع، فيعرف عند ذلك قدر نعم الله، فيزداد شكراً لله، بما منّعه بهذه النعم في كل عامِه، ويتذكر الفقراء، فيواسيهم ويتصدق عليهم.

قال فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين عن المفطرات:

1 – الأكل والشرب: وأما الإبر غير المغذية مثل إبر البنسلين فهذه لا تفطر والأحوط للإنسان تركها في الصيام، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ** "[1].

2 – الجماع: وهو من كبائر الذنوب للصائم في نهار رمضان، وفيه الكفارة المغلظة: عتق رقبة، فإن لم يجد رقبة فإنه يصوم شهرين متتابعين فإن لم يستطع يطعم ستين مسكيناً.

3 – الإنزال: أي إنزال المني بفعل الصائم، مثل أن يقبّل زوجته فيمني فإنه يفسد صومه، وأما إذا كان الإنزال بغير فعله مثل أن يحتلم: فصيامه لا يبطل.

4 – الحجامة: فيفطر الحاجم والمحجوم لحديث رافع بن خديج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"**أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ** "[2]، فأما خروج الدم بالجرح، أو قلع الضرس، أو الرعاف أو نحوه فلا يفطر الصائم.

5 – القيء: إذا استقاء فقاء، فأما إن غلبه القيء بغير اختياره فإنه لا يفطر.

---

(1) (صحيح) أخرجه (ن) وصححه الألباني في ص.ج 3377.

(2) (صحيح) أخرجه (د) 2361 وصححه الألباني.

ويجوز للصائم أن يتطيب بما شاء من الطيب، ولا يفطر بذلك، وأيضاً أن يداوي عينه بما شاء من قطور، ولا يفطر بذلك.

ولشهر رمضان خصائص عظيمة، تفضل الله بها علينا، نذكر منها:

1 - أن صيامه وقيامه يكون سبباً لإدراك ليلة القدر التى هي خير من ألف شهر من العبادة، وأيضا سببا لمغفرة الذنوب أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ☺ : عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **"مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** -[1]، وَقَالَ: **"مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** -[2].

2 - تفتح أبواب الجنة الثمانية، وتغلق أبواب النيران وينادي منادٍ يا بَاغِيَ الخَيْرِ أقبل، ويا باغي الشر أدبر، ولله عتقاء في هذا الشهر الكريم، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ☺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**"إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ: صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلله عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ وَذَلك كُلَ لَيْلَةٍ** -[3]

3 - من فطر صائما كان له من الأجر مثل أجر الصائم ولا ينقص ذلك من أجر الصائم، فَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ☺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : **"مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا** -[4].

ولقد حثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتناول وجبة السحور وتعجيل الفطر وأن نفطر على تمرات، وأيضا حذرنا من قول الزور والعمل به.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

---

(1) (صحيح) أخرجه (خ)1802، و(م)760.
(2) (صحيح) أخرجه (خ) 37، و(م) 759.
(3) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص.ج 759.
(4) (صحيح) أخرجه (ت ن ه خزيمة حب) وصححه الألباني في صت 1078.